الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لما أنهى المصنف -رحمه الله- ذكر جملة من الأدلة من كتاب الله -عز وجل-، وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- على فضل الذكر عمومًا؛ شرع في فصل خاص عقده لبيان فضل الكلمات الأربع على وجه الخصوص، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ التي هي أحب الكلام إلى الله -عز وجل-، فأورد -رحمه الله- في هذا الفصل جملة من أدلة السنة الدالة على فضل هؤلاء الكلمات الأربعة، فأورد أحاديث تشمل هؤلاء الكلمات الأربع، وأحاديث فيها فضائل لبعض هذه الكلمات.

(المتن)

فصل: فضل التحميد والتهليل والتسبيح.

في الصحيحين، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» .

وقال: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة؛ حُطَّت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

(الشرح)

ثم في هذا الفصل؛ فصل في فضل التحميد والتهليل والتسبيح، أخذ المصنف كما عرفنا يسوق الأدلة الدالة على فضل هؤلاء الكلمات الأربع، وأول ما بدأ -رحمه الله- بدأ بإيراد حديث في فضل كلمة التوحيد **لا إله إلا الله**، وفضل تكرارها وتردادها كل يوم مائة مرة، وأن في ذلك ثوابًا عظيمًا وأجرًا جزيلًا من الله -تبارك وتعالى-، فأورد هنا حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، و كانت له حِرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**» .

هذا الحديث فيه فضيلة كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» وتكرارها وتردادها في اليوم مائة مرة، وأن من جاء بها في يومه بهذا العدد مائة مرة؛ فله هذا الثواب الذي ذكره النبي -عليه الصلاة والسلام-، وسيأتي شيء من الكلام عن معانيه.

قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»، جمع -عليه الصلاة والسلام- في هذه الكلمة بين التوحيد وبراهينه، بين التوحيد الذي خلقنا الله -عز وجل- لأجله وأوجدنا لتحقيقه، وبراهين التوحيد ودلائله الدالة على وجوب إخلاصه لله -تبارك وتعالى- وإفراده به دون سواه -سبحانه وتعالى-، أما التوحيد فيدل عليه هنا كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**»، فهذه الكلمة العظيمة هي كلمة التوحيد، وهي أجلّ الكلمات وأفضلها وأعظمها على الإطلاق، ولا يوجد

مطلقًا في الكلمات كلمة أفضل من هذه الكلمة كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»، فكلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» هي أفضل الكلمات على الإطلاق، وهي أحسن الحسنات وأجلّ الطاعات، وهي كلمة التوحيد، أي: أنه لا توحيد إلا بها، معنى أنها كلمة التوحيد أي: لا توحيد إلا بهذه الكلمة، هي كلمة التوحيد التي عليها قيام التوحيد، فالتوحيد لا يقوم إلا على هذه الكلمة، وعلى ما دلت عليه «**لا إله إلا الله**»، هذا هو التوحيد، التوحيد «**لا إله إلا الله**»، التوحيد أن تحقق ما دلت عليه هذه الكلمة «**لا إله إلا الله**». وإذا تأملنا هذه الكلمة نجد أنها قائمة على ركنين، النفي والإثبات، **لا إله** نفي، **إلا الله** إثبات، ولا توحيد إلا بالنفي والإثبات الذين دلت عليهما كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» ولا يكون المرء موحدًا إلا بهذا النفي والإثبات الذي تدل عليه هذه الكلمة، **لا إله** نفي **إلا الله** إثبات، وعندما تقول أيها المسلم: «**لا إله إلا الله**» تنفي وتُثبت، لابد مع قولك لها أن تعرف ما الذي نفيته، وما الذي أثبته، ليكون نفيك وإثباتك عن علم، كما أمرك الله -عز وجل- قال -سبحانه وتعالى-: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، قال المفسرون -رحمهم الله-: **إلا من شهد بلا إله إلا الله، وهم يعلمون معنى ما شهدوا به**، ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، الحق: لا إله إلا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلمون معنى ما شهدوا به، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، لا بد من العلم، فمن يقول: «**لا إله إلا الله**» ينفي ويثبت، لابد أن يعرف ما الذي نفاه وما الذي أثبته، ولا توحيد إلا بهذا، والنفي الذي اشتملت عليه هذه الكلمة هو نفي عام، **لا إله** نفي عام للعبودية عن كل من سوى الله، تنفي العبودية نفيًا عامًا عن كل من سوى الله، **إلا الله** إثبات خاص، إثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده، ففي قولك: «**لا إله إلا الله**» نفي للعبودية عن كل من سوى الله وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده، فـ«**لا إله إلا الله**» أي: لا معبودًا بحقٍ إلا الله -تبارك وتعالى-، لا يستحق العبادة ولا أن تُصرف له الطاعة إلا رب العالمين -جل وعلا-، «**لا إله إلا الله**» نفي وإثبات هذا هو التوحيد، ولما كان مقام التوحيد مقامًا عظيمًا وشأنه شأنًا جليلًا، أكده هنا في هذا الحديث وفي هذا التهليل المبارك، أكد التوحيد بركنين النفي والإثبات، وذلك في قوله: «**وحده لا شريك له**»، ماذا تعني «**وحده لا شريك له**» الذي جاءت عقب كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**»؟ «**وحده لا شريك له**» هذه كلمة جاءت عقب كلمة التوحيد، فماذا يعني مجيئها عقب كلمة التوحيد؟ «**لا إله إلا الله**» جاءت مُؤكدةً للتوحيد الذي دلت عليه كلمة التوحيد، «**وحده لا شريك له**» جاءت مؤكدة للتوحيد الذي دلت عليه كلمة التوحيد، عرفنا أن كلمة التوحيد فيها نفي وإثبات، النفي في قولنا **لا إله**، والإثبات في قولنا **إلا الله**، فجاء قوله: «**وحده لا شريك له**» مؤكدة للنفي والإثبات، ففي قولك «**وحده**» تأكيد للإثبات الذي دلت عليه كلمة التوحيد، وفي قولك «**لا شريك له**» تأكيد للنفي الذي دلت عليه كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» ، فقوله: «**وحده لا شريك له**» تأكيد للنفي والإثبات الذي دلت عليه كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**»، إذن هذا هو التوحيد «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له**» هذا هو التوحيد الذي خلقنا لأجله وأجدنا لتحقيقه، وعرفنا معنى هذه الكلمة أنها تنفي العبودية عن كل من سوى الله وتثبت العبودية بكل معانيها لله -تبارك وتعالى- وحده، فهي تعني: أن نعبد الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين، كما نقول ذلك جميعًا كل يوم أدبار الصلوات المكتوبة، نقول في تهليلنا: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لاحول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**، نحن كل يوم أدبار الصلوات المكتوبة نردد كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» مع كلمات تبين معناها وتؤكد مدلولها، كل يوم نفعل ذلك خمس مرات، وهذا درس يومي واستذكار يومي للتوحيد، وترسيخ له وتمكين له في القلب كل يوم

خمس مرات أدبار الصلوات المكتوبة، نردد كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» ونردد معها كلمات تبين معناها وتؤكد مدلولها، ولو قيل لنا ما تعريف كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» على ضوء ما نردده نحن كل يوم أدبار الصلوات؟ نقول: معناها: أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، مخلصين له الدين، هذا التعريف ما زاد على ما نقوله كل يوم أدبار الصلوات المكتوبة، أخذناه من ترددانا لهذا التهليل الوارد في السنة عن نبينا –عليه الصلاة والسلام–، هذا هو معنى «**لا إله إلا الله**»، معناها: أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

بعض الناس تقول ما معنى لا إله إلا الله؟ يقول لك معناها أي: لا خالق إلا الله، واخر يقول معناها أي: لا رب إلا الله، وذلك يقول معناها: لا غني بنفسه عمن سواه إلا الله، إلى غير ذلك من التعاريف التي تُنبأ عن عدم فهم قائليها لكلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**»، لم يفهموا هذه الكلمة، ولم يفهموا ما دلت عليه، فأخذوا يفسروها بتوحيد الربوبية، أنه لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله، لا مُنعم إلا الله، هذا توحيد الربوبية، الذي لم يكن كفار قريش يخاصمون فيه ولم يكونوا ينازعون فيه، وكانوا يقرِّون أنه لا رب إلا الله، ولا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، كانوا يقرّون بذلك، ولما قال لهم قولوا: «**لا إله إلا الله**» عرفوا بلغتهم الفصيحة وفهمهم للغة أنها تعني: إخلاص العبادة لله –تبارك وتعالى– فامتنعوا من قولها، وماذا قالوا في امتناعهم لقول هذه الكلمة؟ قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، أجعل المعبودات معبودًا واحدًا هذا أمر عجيب يقولون، ثم أخذوا يتاوصون بينهم على ماذا؟ ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦]، يعني: تدبير يراد بكم حتى تخرجوا عن هذه الملة التي أنتم عليها، فاصبروا على ما أنتم عليه، ويتفاخرون على هذا الصبر كما أخبر الله عنهم في موضع أخر، قالوا: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان:٤٢]، يعني: لولا أننا متحلّين بالصبر لأضلَّنا عن عبادة الآلهة، فكانوا يعرفون أن «**لا إله إلا الله**» تعني إفراد الله –تبارك وتعالى– وحده بالعبادة والبراءة من الشرك، يعرفون هذا المعنى، ثم ترى من الناس من يقول: معنى «**لا إله إلا الله**» لا خالق إلا الله، لو كان معنى «**لا إله إلا الله**» لا خالق إلا الله هل يرفض المشركون قبول هذه الكلمة؟ وهم يقرون أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر إلا الله؟! فعلى كل حال «**لا إله إلا الله**» معناها واضح، ومعناها نعرفه نحن من التهليل الذي نقول أدبار الصلوات، **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة الا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**، معنى «**لا إله إلا الله**» موجود في هذا التهليل الذي يردده كل مسلم أدبار الصلوات المكتوبة اقتداء بالرسول الكريم –عليه الصلاة والسلام–.

قولنا: "**لا إله إلا الله وحده لا شريك له**" هذا هو التوحيد، ثم قوله: "**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**" هذا توحيد وفي الوقت نفسه برهانًا على التوحيد، هذا توحيد علمي وفي الوقت نفسه برهان على التوحيد العملي، وينبغي أن ننتبه لهذا لأن التوحيد الذي خلقنا الله –عز وجل– لأجله وأوجدنا لتحقيقه نوعان: علميٌّ، وعملي، العمليّ ما دل عليه قولنا "**لا إلهَ إلاّ الله وحده لا شريك له**"، والعلميّ ما دل عليه قولنا "**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**"، التوحيد العلمي: أمورٌ طُلب منا أن نعلمها وأن نعرفها وأن نثبتها، والعملي: المطلوب منا عملٌ خالصٌ وعبادةٌ خالصةٌ لله –تبارك وتعالى– ليس معه فيها شريك، انظر التوحيد العلمي في قوله تعالي: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، خلق لتعلموا؛ عِلمي، وانظر التوحيد العمَلي في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، خلق للعبادة، فالتوحيد الذي خلقنا لأجله وأوجدنا لتحقيقه

نوعان: علميٌ وعملي، عملي: أن نُخلص العبادة لله وألا نجعل مع الله شريكًا فيها، وعِلمي: أن نُثبت عظمة الله، نُثبت أن الملك لله، أن الحمد لله، أن الله على كل شيء قدير، أن الله بكل شيء عليم، أن نُثبت أسمائه وصفاته الواردة في كتابه وسنة نبيه –عليه الصلاة والسلام–.

والتوحيد العلمي برهانٌ على التوحيد العملي، فيقال: يا من عرفت أن الملك لله، وأن الحمد لله، وأن الله على كل شيء قدير، خصه بالعبادة وحده، وأفرده بالطاعة وحده، أفرده وحده بالذل كما أنك تقر أنه وحده المِلك لا ندَّ له، الذي له الحمد لا شريك له، الذي هو على كل شيء قدير فخصه وحده بالعبادة، لا تصرف شيء من العبادة لغيره، إذا كنت تعلم أنه له الملك كله وله الحمد كله ومنه الفضل وحده –تبارك وتعالى–، وهو الذي على كل شيء قدير، لما تصرِف شيء من العبادة لغيره؟ لما تدعو غيره؟ لما تسأل غيره؟ لما تَذل لغيره؟ فالتوحيد العلمي برهانٌ واضح على التوحيد العملي، ولهذا قال «**له الملك**» أي: الملك كله لله وحده ليس لله –تبارك وتعالى– شريك في الملك، ليس لله شريك في الملك ولا في مقدار ذرة، لا يوجد مخلوق من المخلوقات يملك في هذا الملك العظيم ولا مثقال ذرة ملكًا استقلاليًا، كما قال الله في القرآن: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [سبأ:٢٢]، ما يملك مثقال ذرة، الذي يملك بيت أو يملك دابة أو يملك حديقة أو يملك أي شيء كان في هذه الحياة الدنيا، ملكه بماذا؟ ملكه استقلالًا؟ أو ملكه بتمليك الله له؟ ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران:٢٦]، فالملك ملك الله، ولهذا ترى شخصًا يملك اليوم أملاكًا عظيمة جدًا ثم غدًا لا يملك منها شيء، إما أن يكون هو فارقها بالموت، إما أن تكون هي فارقته بأي سبب من الأسباب، فالملك بيد الله –سبحانه وتعالى– ولا يملك أي أحدٍ غير الله –تبارك وتعالى– ولا مثقال ذرة في هذا الكون ملكًا استقلاليا، فالملك كله لله –سبحانه وتعالى– يعطيه من يشاء، يعطي الملك من يشاء وينزعه –تبارك وتعالى– ممن يشاء؛ لأن الملك ملكه سبحانه، كل ما في هذا الكون ملك الله، فمن آمن بأن الملك كله لله، والأمر كله بيد الله، أيليق به أن يتجه إلى غير الله؟! أن يدعو غير الله! أن يستغيث بغير الله! أن يلتجأ إلى غير الله! أن يطلب المدَد والعون من غير الله! هذا لا يليق بمن أقرَّ بأن الملك كله لله –تبارك وتعالى– له الملك وله الحمد، الحمد كله لله لأنه هو المتفضِّل وهو المنعم، وما يصل إلى العبد من نعمة أيًا كانت فهي منه –جل وعلا–، ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [النحل:٥٣]، ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ [الرعد:٣٤]، فالحمد كله لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، سرًا وعلنًا في القديم والحديث في الغيب والشهادة، الحمد كله لله لأن النعم كلها منه –تبارك وتعالى–، النعمة نعمته والفضل فضله والعطاء عطاءه والمنّ منّه، فالحمد لله –عز وجل– ليس لأحدٍ سواه، الحمد كله لله –تبارك وتعالى–، وهو على كل شيء قدير قدرته –تبارك وتعالى– شاملة لكل شيء، لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قديرٌ على كل شيء، فقدرته –سبحانه وتعالى– شاملة ومشيئته نافذة، أي شيء يشاء –سبحانه وتعالى– يكون، لا يمكن أن يتخلف، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه –سبحانه وتعالى–، فمن عرف ربوبية الله –عز وجل– العامة الشاملة لكل شيء، وقدرته –سبحانه وتعالى– وعلمه الذي أحاط بكل شيء، وملكه لكل شيء، كيف يليق به أن يصرِف شيئا من العبادة لغيره –سبحانه وتعالى–؟!

ولهذا قوله: «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» هذا توحيد علمي، وفي الوقت نفسه براهنٌ على التوحيد العملي، بمعنى: أن من عرف أن الملك لله، وأن الحمد لله، وأن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا –سبحانه

وتعالى-، وأن مشيئته نافذة، وأن قدرته شاملة، إلى غير ذلك من المعاني والأمور فإن الواجب عليه أن يُخلص العبادة لله، فلا يدعو إلا الله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يطلب المدد والعون والنصر والشفاء إلا من الله -سبحانه وتعالى-.

«**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»، يُشرع ويُستحب للمسلم أن يقول هذه الكلمات في اليوم مائة مرة، ولا يكون قوله لها مجرد ألفاظًا يأتي بها في لسانه دون أن يستشعر معناها، بل الواجب عليه أن يردد هذه الكلمات مع الإستشعار للتوحيد الذي دلت عليه، والإخلاص والبراءة من الشرك والتعظيم والتمجيد لله -تبارك وتعالى-، يقولها مائة مرة كما أخبر بذلك -عليه الصلاة والسلام- قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة**» ، متى يقولها؟ هذا السؤال متى يقولها مائة مرة؟ هل يقولها في الصباح أو يقولها بعد الظهر أو يقولها بعد العصر؟ الحديث أطلق، قال: «**من قالها في يوم مائة مرة**» أُطلق، قال: «**من قالها في يوم**» لم يُقيد في صباحٍ أو مساءٍ، أو في الظهر، أو نحو ذلك لم يقيد، وإنما أطلق، لكن العلماء يقولون ماذا؟ يقولون: الأوّلى أن تأتي بها في الصباح الباكر مع أذكار الصباح، لماذا؟ لسببين:

السبب الأول: مسارعة للخيرات ومبادرة في تحصيل هذا الخير العظيم والثواب العميم، تُسارع وتُبادر وأنت مأمور بالمسارعة والمسابقة، فما دام أنه طُلب منك أن تقولها في اليوم فلتبادر، ولا تدري أنت ماذا يَعرض، ولكن تُبادر وتسارع؛ لأنك لا تدري ماذا يعرض لك فتبادر إلى هذه الكلمة في أول النهار، هذا السبب الأول.

السبب الثاني: حتى تحصل ما يترتب على هذه الكلمة من الأجور العظيمة والأفضال الكريمة من أول النهار، ومن ذلكم أن يكون ذلك حرزًا لك من الشيطان، كما سيأتي معنا في الحديث «**إذا قلتها مائة مرة كانت ذلك حرزًا لك من الشيطان حتى تمسي**»، فليكن هذا الحرز الذي لك من الشيطان ليكن من أول اليوم لا يكن من وسط النهار ولا يكن في اخر النهار، بل تُبادر إلى الإتيان بهذه الكلمات مائة مرة في أول النهار وفي أذكار الصباح حتى تكون حرزًا لك من الشيطان من أول يومك.

قال: «**كانت له عدل عشر رقاب**» يعني: له ثواب يعادل عشر رقاب كأنه أعتق عشر رقاب في سبيل الله -تبارك وتعالى-، فهذا الثواب الأول الذي تناله عند قولك لهذه الكلمات في اليوم مائة مرة، الثواب الأول: أنها تعادل عدل عشر رقاب، أي: مثل أو ما يعادل عشر رقاب، كأنك أعتقت عشر رقاب في سبيل الله -تبارك وتعالى-، فهذه الفضيلة الأولى.

الفضيلة الثانية: "**كُتبت له مائة حسنة**" يعني: بكل كلمة من هؤلاء الكلمات يُكتب لك حسنة عند الله -سبحانه وتعالى-، ثم الحسنة التي تكتب لك هنا، أي حسنة؟ انتبه هنا الحسنة التي تكتب لك هنا أي حسنة؟ حتى نستشعر جواب هذا السؤال جيدًا لنتذكر حديث أبي ذر في مسند الإمام أحمد عندما سأل النبي -عليه الصلاة والسلام- قائلًا: **أفمن الحسنات لا إله إلا الله؟** هذا هو السؤال، فماذا كان جواب نبينا -عليه الصلاة والسلام-؟ ماذا كان جوابه؟ قال: «**هي أحسن الحسنات**»، هنا لما يقال: «**كُتبت لك مائة حسنة**» ما نوع الحسنة التي كتبت لك هنا؟ كتبت لك أحسن الحسنات كما يبين ذلك حديث أبي ذر المشار إليه، قال: «**وكتبت له مائة حسنة**» أي: كتبت له مائة حسنة هي أحسن الحسنات وأجلّها وأفضلها، قال: «**ومحيت عنه مائة سيئة**» أي: يُمحى عن قائل هذه الكلمة مائة سيئة من سيئاته الذي قرفها وفعلها، فيُمحى عنه أي: تُزال وتسقط عنه مائة سيئة بقوله لهذه الكلمة مائة مرة، ففيها محو السيئات.

قال: «**وكانت له حرزًا من الشيطان يوم هذا حتى يمسي**» حرزًا أي: حافظًا وواقيًا وحصنًا حصينًا من الشيطان، كانت حرزًا له من الشيطان، أي أن: الشيطان لا يقربه يومه ذلك حتى يمسي، يعني: أصبح في حصنٍ حصين وحرزٍ متين من الشيطان الرجيم

فلا يقربه الشيطان؛ لأنه ذكر الله، وذكر الله –عز وجل– بأعظم الذكر بكلمة التوحيد لا إله إلا الله مائة مرة فلا يقربه الشيطان مطلقًا حتى يمسي. والحديث يدل على فائدة عظيمة جدًا أن أعظم ما يطرد الشيطان عن الإنسان توحيد الله –عز وجل–، أي: أعظم ما يطرد الشيطان عن الإنسان ويبعده منه توحيد الله –سبحانه وتعالى–، ولهذا من قرأ آية الكرسي وهي آية التوحيد الذي أخلصت له من قرأها عندما يأوي إلى فراشه لا يقربه شيطان حتى يصبح؛ لأن الشيطان لا يستطيع أن يقترب من التوحيد، فالتوحيد يطرده ويبعده ويُنحيه عن المكان أعظم تنحية، فهذا فيه فضل التوحيد وفضل كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»، قال: «**وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي**».

الفضيلة الأخيرة قال: «**ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجلٌ عمل أكثر منه**» يعني: إلا رجلًا أتى شاركه بهذه الفضيلة ثم عمل أكثر منه، عمل ماذا عمل؟ أبواب الأعمال كثيرة من صلاة من صدقة من بر للوالدين صلة للأرحام صدقات إلى غير ذلك، «**إلاّ رجلًا عمل مثله وزاد عليه**» عمل مثله يعني: شاركه في هذا الفضيلة ولكنه زاد عليه في فضائل أخرى من صدقات من صلوات من تلاوة للقرآن من بر وصلة وإحسان إلى غير ذلك من أبواب البر والأعمال الصالحة.

قال: «**ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»، «**من قال: سبحانه الله وبحمده**» أي: جمع بين التسبيح والتحميد مائة مرة على هذه الصيغة الواردة هنا في الحديث، «**سبحان الله وبحمده**»، «**سبحان الله**» أي: أسبح الله تسبيحًا أنزهه تنزيهًا، والتسبيح هو تنزيه الله وتقديسه وتبرئته –سبحانه وتعالى– عما لا يليق به، فكلمة –سبحانه وتعالى– كلمة تنزيه لله –تبارك وتعالى–.

ويا أخوان الواجب على المسلم عندما يقول هذه الكلمات، سواء سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر أو لا حول ولا قوة إلا بالله أو غيرها من الكلمات المأثورة والأذكار المشروعة، الواجب عليه أن يقولها وهو يعرف معناها، ويعرف مدلولها حتى يكون تلفظه بها وترداده لها عن علم، وعن دراية بما يقول وبما يتلفظ به، فـ«**سبحان الله**» هذه كلمة تنزيه، تنزيه لله –تبارك وتعالى– وتقديس له وتبرئته لله –سبحانه وتعالى– عما لا يليق به، أسبح الله أي: أنزه الله، كما قال الله –جل وعلا–: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الصافات:١٨٠]، أي: أنزهه عما يوصف به أعداء الرسل، فتسبيح الله هو تنزيه الله، ولهذا تأتي هذه الكلمة في القرآن في موضع التسبيح، ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا**﴾ [مريم:٨٨]، ماذا نقول؟ ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا**﴾ ﴿**سُبْحَانَهُ**﴾ [البقرة:١١٦]، يعني أنزهه عن ذلك سبحانه، يعني: تقدس وتنزه، نبرأه عن ذلك –سبحانه وتعالى–، فسبحان الله تنزيه الله –تبارك وتعالى– عن ما لا يليق به، ولهذا يُشرع التسبيح عندما يوصف الله –تبارك وتعالى– بما لا يليق به، يسبح ويقدس، لما قال قائل للنبي –عليه الصلاة والسلام–: **إني أستشفع بك إلى الله وأستشفع بالله**، قال: «**سبحان الله**»، يعني هذا ما يليق بالله، لا يليق بالله –سبحانه وتعالى–، فيُؤتى بهذه الكلمة تنزيهًا لله وتقديسًا له وتبرأةً له عما لا يليق به –سبحانه وتعالي–، ونحن ننزه الله عن النقائص والعيوب، وننزه الله –تبارك وتعالى– عن أن يُماثله أحدًا من خلقه –سبحانه وتعالى–، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشوري:١١]، فهو منزهٌ عن التمثيل ومنزهٌ –تبارك وتعالى– عن النقائض والعيوب، هذا معنى قوله: «**سبحان الله**».

قال: «**من قال في اليوم سبحان الله وبحمده**»، وبحمده أي: متلبسًا بحمد الله، أو حامدًا لله –تبارك وتعالى–، فيكون" الواو" إما للعطف، أو تكون "الواو" للحال، سبحان الله، وأسبح الله وأنا متلبسٌ بحمده، أسبح الله وأحمد الله عاطفة، أسبح الله وأحمد الله –تبارك وتعالى–، والحمد هو الثناء على الله –تبارك وتعالى– مع الحب له سبحانه، حمدٌ له على أسمائه وصفاته، وحمدٌ له على نعمه

وآلاءه -سبحانه وتعالى-، ولاحظ هنا في قولك: «**سبحان الله وبحمده**» فيه جمع بين أمرين: التنزيه لله -تبارك وتعالى- عن النقائص والعيوب، وإثبات الكمال له -سبحانه وتعالى- اللائق به، أما التنزيه ففي قولنا: «**سبحان الله**»، وأما إثبات الكمال ففي قوله: «**الحمد لله**»، ففي قولنا: «سبحان الله وبحمده» جمعٌ بين التنزيه وإثبات الكمال لله -جل وعلا-، التنزيه في قولنا: «**سبحان الله**»، وإثبات الكمال لله سبحانه في قولنا: «**الحمد لله**»؛ لأنك عندما تقول: «**الحمد لله**» تحمد الله على ماذا؟ على أسمائه، تحمد الله على صفاته، تحمد الله -تبارك وتعالى- على نعمه وآلاءه، يُحمد على صفاته، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ [الأنعام:١]، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾ [إبراهيم:٣٩]، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [١] يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**﴾ [سبأ:٢]، كل ذلك يُحمد عليه -تبارك وتعالى-، يُحمد على أسمائه وصفاته، ويُحمد على نعمه، يقول -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله لا يرضى عن عبده أن يأكل الأكل فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»، فالله يُحمد على النعم التي منّ بها والأفضال التي تفضّل بها، ويُحمد -تبارك وتعالى- على أسمائه الحسنى وصفاته العظيمة، يُحمد على أنه الخالق، يُحمد على أنه الوهاب، يُحمد على أنه الرب العظيم والخالق الجليل، الحمد لله ماذا؟ رب العالمين، يُحمد على الربوبية، ويُحمد على الخلق، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ [الأنعام:١]، يُحمد على الهبة، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي**﴾ [الرعد:٣٩]، فهو يُحمد على أسمائه وصفاته، ويُحمد -تبارك وتعالى- على نعمه وآلاءه.

إذن في قولنا: «**الحمد لله**» فيه ماذا؟ إثبات الأسماء والصفات، إثبات العظمة، إثبات الجلال، إثبات الكمال لله -تبارك وتعالى-، كما أن في قولنا: «**سبحان الله**» تنزيه الله، اجتمع لنا في قولنا: «**سبحان الله وبحمده**» التنزيه والإثبات، وهذا الذي يقوم عليه توحيد الأسماء والصفات، يقوم على أصلين: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، وهذا كله موجود في قولنا: «**سبحان الله وبحمده**».

من قال: «**سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة، حُطَّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**» أي: ولو كانت كثيرة مهما كثرت، «**زبد البحر**» ما أكثره، البحر دائما يزبِّد، ودائما ترى عليه الزبد، فلو كانت مثل زبد البحر تُحط عنه خطاياه، وهذا فيه فضيلة الإتيان بهذه الكلمات مائة مرة، «**سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة**».

وأيضًا مثل ما قلنا في «**لا إله إلا الله**»: الأفضل أن تأتي بها متى؟ في الصباح الباكر مبادرةً ومسارعةً وتحصيلًا لهذا الثواب من أول يومك.

(المتن)

وفيهما أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» .

(الشرح)

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث وفي صحيح البخاري، بل هو آخر حديث في صحيح البخاري، ختم الإمام البخاري -رحمه الله- كتابه الصحيح بهذا الحديث، وبدأ كتابه الصحيح بماذا؟ بحديث إنما الأعمال بالنيات، قال بعض العلماء: إشارةً إلى أن العمل أول ما يبدأ يكون نية، وآخر أمره يوزن يوم القيامة، يوزن ويوضع في الميزان يوم القيامة ويجازى عليه العامل ويحاسب عليه.

قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن**»، تلمس هنا هذا الأسلوب المشوق في الطرح من نبينا -صلوات الله وسلامه عليه- أسلوب مشوق جدًا وهذا من كمال نصحه -عليه الصلاة والسلام-، شوقك إلى هاتين الكلمتين تشويقًا عظيمًا، لم يقل -عليه الصلاة والسلام-: سبحان الله وبحمده كلمتان، لأن سبحان الله وبحمده مبتدأ خبره ماذا؟ خبره: كلمتان، ولكن النبي -عليه الصلاة والسلام- أخَّر المبتدأ ليشوقك إليه، ليشتاق قلبك إليه، فقال: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان، خفيفتان على اللسان**»، ما هما؟ ذكرهما مؤخرًا في قوله: «**سبحان الله وبحمده**»، هذا هو المبتدأ، خبره: «**كلمتان خفيفتان على اللسان**.... **إلى آخره**»، لكنه -عليه الصلاة والسلام- أخَّر المبتدأ، وأكثر من وصف الخبر، الخبر: «**كلمتان**»، «**سبحان الله وبحمده**» كلمتان، ثم وصف الخبر بعدة صفات ماهي؟ «**خفيفتان، ثقيلتان، حبيبتان**»، هذه كلها صفات للخبر، فهنا القلب يطير شوقًا لمعرفة هذا الأمر، فهذا أسلوب تشويق وترغيب، وهو ناشئ من كمال نصح نبينا -عليه الصلاة والسلام-، أرأيتم الآن؟ حتى ندرك قوة التشويق هنا، لو أنك لم تسمع بهذا الحديث ولا مرة ما مر عليك في حياتك، لم يمر عليك هذا الحديث في حياتك أبدًا ما سمعت به ثم قال لك قائل: جاء في حديث صحيح عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان للرحمن**»، ووقف عندما انتهى من ذكر الخبر وقف، لم يذكر لك المؤخر، أُخبرك أو لا؟ تقول: أخبرني، يقول لك تعال بعد شهر، بعد شهر تعال وأخبرك بما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-، هل تتركه يذهب وإلا ماذا تصنع به؟ هل تتركه يذهب وإلا قلبك يمتلأ شوقًا؟ تقف تترجاه يا أخي لماذا أنا مشتاق الآن أريد أن أسمع، أريد أن أعرف، فهذا يسمى أسلوب تشويق، القلب ينفتح ويشتاق ويتُوق وهذا من كمال نصح النبي -عليه الصلاة والسلام-، مر معنا قريبًا «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله**» ، لم يقل ابتداءًا: ذكر الله خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، لم يقل هكذا، والمعنى يظهر من هذا، لكنه فعل الطريقة التي فعلها من أجل ماذا؟ التشويق، وهذا من كمال نصحه -عليه الصلاة والسلام- وحسن بيانه -صلوات الله وسلامه عليه-، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، هذا من حرصه علينا -صلوات الله وسلامه عليه- تشويق وترغيب وتمهيد ومقدمات وفتح للقلوب، ومع ذلك عملنا قليل، ومع ذلك تقصيرنا كبير، نصح -عليه الصلاة والسلام- النصح المبين وما ترك خيرا إلا دلّ الأمة عليه ولا شرًا إلا حذرها منه -صلوات الله وسلامه عليه-.

قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان**» يعني: ليست تكلف اللسان جهدًا أو مشقة، يتحرك بها اللسان حركة خفيفة، «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»، كلمة خفيفة، حتى بعض الكلمات الكلام خفيف، لكن بعض الكلمات تركيبها فيه ثقل على اللسان، وكلمات صعبة، كلمات وعِرة، فيها شيء من الثقل وفيها شيء من الغثاثة أيضًا، وتكون أيضًا خروجها فيه شيء من الثقل على لسان الإنسان، لكن هذه الكلمة خفيفة تنساب مع اللسان بسهولة، خفيفة جدًا كما وصفها بذلك -عليه الصلاة والسلام-، «**خفيفتان على اللسان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»، من أخف ما يكون على اللسان، هذه الصفة الأولى.

الصفة الثانية: قال: «**ثقيلتان في الميزان**» يعني: عندما تُوضع يوم القيامة في الميزان لها ثقل عظيم في الميزان، وهذا فيه دليل على أنه هناك يوم القيامة ميزان، وهو ميزان حقيقي له كفتان، كفة توضع فيه الحسنات وكفة توضع فيه السيئات، «**فسبحان الله**

وبحمده سبحان الله العظيم» عندما تُكثر منها ستكون يوم القيامة ثقيلة في ميزانك، تُثقل ميزانك يوم تلقى الله –سبحانه وتعالى– يوم القيامة، فهي ثقيلة في الميزان، هذه الصفة الثانية.

الصفة الثالثة: قال: «**حبيبتان للرحمن**» يعني: الله –سبحانه وتعالى– يحب أن يسمعها من عبده، يحب أن يسمع منك –سبحانه وتعالى– قولك: «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»، مع أنه غني عن قولك ولا ينفعه تسبيحك، ولا يضره عدم تسبيحك، لا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضره –سبحانه وتعالى– معصية من عصى، ولكن هذا من عظيم كرمه وعظيم منِّه، وكمال إحسانه ووجُوده –سبحانه وتعالى– يحب أن يسمع من العبد هذه الكلمات، «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

قال: «**حبيبتان إلى الرحمن**»، وذكر هنا اسم الله –تبارك وتعالى– الرحمن، إشارة أيضًا إلى حظ قائل هذه الكلمات من رحمة الله –سبحانه وتعالى–، حظه من رحمة الله ونصيبه من رحمة الله –تبارك وتعالى–، فهي حبيبة إلى الرحمن فمن حافظ عليها فله نصيبٌ وافر وحظٌ عظيم من رحمة الله التي خص بها عباده المؤمنين، ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب:٤٣]، فمن يأتي بهذه الكلمات ويعتني بها له حظٌ وافر ونصيب عظيم من رحمة الله –تبارك وتعالى– التي اختص بها عباده المؤمنين.

قال: «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»، جمع هنا مع التسبيح في جملتين، جمع معه في الجملة الأولى الحمد وفي الجملة الثانية التعظيم، «**سبحان الله وبحمده**» عرفنا معناه قريبًا، «وسبحان الله العظيم» جمع مع تسبيح الله –تبارك وتعالى– إثبات العظمة لله، «**سبحان الله العظيم**»، والعظيم: اسم من أسماء الله الحسنى وهو دال على عظمة الله –سبحانه وتعالى– في أسمائه، وعظمته –تبارك وتعالى– في ذاته، وعظمته –تبارك وتعالى– في صفاته، وعظمته –سبحانه وتعالى– في شرعه، فقولك العظيم إثبات العظمة لله، فأنت تسبح الله تنزهه وفي الوقت نفسه تعظم الله –تبارك وتعالى–.

«**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن**»، إذن الذي ينبغي على العبد أن يجاهد نفسه على الإكثار من هاتين الكلمتين في كل أوقاته، هذه لا تختص بوقت معين وإنما يقول متى شاء في أي وقتٍ وحين، يُحرك لسانه ليُثقل ميزانه، وأن يفعل أمرًا حبيبًا إلى الرحمن –سبحانه وتعالى– فيحرك لسانه بهاتين الكلمتين العظيمتين «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

وإلى هنا نقف، والله تعالى أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.